

# من وسائل تربية النفس ذكر الله



الأربعاء 22 مايو 2024 07:31 م

بَيَّنَّ الله - سبحانه وتعالى - في كتابه العزيز أنَّ قِلاخَ المسلم وسعادته مُرتبطة بتطهير نَفْسِهِ وتركبتها، وهي غاية تتحقق بأمرٍ عديدة، من أهمها ذكر الله الذي هو من أعظم العبادات على الرغم من سهولتها، لكن أجرها كبير وثوابها جليل، وهي عبادة تقرب العبد من ربه، وتشعره بالحضور معه، وتكفِّر عنه الخطايا وتمحو السيئات، وهي من أكثر أسباب استجابة الدعاء، وسبب لدخول الجنة، والنجاة من النار.

ذكر الله تعالى في القرآن والسنة

وأشار القرآن الكريم إلى أهمية ذكر الله تعالى في العديد من الآيات، فقد أمر الله - جل وعلا - به خواص خلقه والمصطفين من عباده وعمامة المؤمنين به، فقال لذكرا- عليه السلام- بعد أن بشره بيبى- عليه السلام: (وَأَذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعُشِيِّ وَالْإِبْكَارِ) [آل عمران: 41].

وخاطب- سبحانه تعالى- نبيه محمدًا- صلى الله عليه وسلم- بعد أن منَّ عليه بالنبوة والرسالة بقوله: (وَأَذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا) [الزمر: 8]، وقال- جل وعلا-: (وَأَذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ) [الأعراف: 205].

ووعد الحق سبحانه الذاكرين المكثرين من ذكره وعودًا كريمة وأجرًا عظيمه، فقال تعالى: (وَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) [الأنفال: 45]، وقال تعالى: (قَادُكُزُوبِي أَدُكُزُكُمُ \* وَأَشْكُزُوا لِي وَلَا تَكْفُزُونَ) [البقرة: 152].

وقال- عز وجل-: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا \* وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا \* هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا \* تَجِبْتُمْ يَوْمَ تَلَقُّوهُ سَلَامًا \* وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا) [الأحزاب: 41-44].

وحذرننا الله -عز وجل- من صفات المنافقين، التي منها قلة الذكر، فقال تعالى: (إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُتَالَى بُرَاءُونَ النَّاسِ وَلَا يُذْكَرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا) [النساء: 142]، وحذرننا سبحانه من الانشغال بالأموال، والأولاد عن ذكره جل وعلا، فقال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ) [المنافقون: 9].

وثبت في صحيح مسلم عن أبي هريرة- رضي الله عنه- قال: كان رسول الله- صلى الله عليه وسلم- يسير في طريقه إلى مكة فمرَّ على جبل يقال له جُفُودان فقال: "سيروا، هذا جمدان، سبق المفردون" قيل: وما المفردون يا رسول الله؟ قال: "الذاكرون الله كثيرًا والذاكرات" (مسلم).

وفي مسند الإمام أحمد عن معاذ- رضي الله عنه- وعند الطبراني عن جابر- رضي الله عنه- عن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- قال: "ألا أخبركم بخير أعمالكم، وأركاها عند مليككم، وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من تعاطي الذهب والفضة، ومن أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟"، قالوا: بلى يا رسول الله، قال: "ذكر الله عز وجل" (أحمد والترمذي).

وفي الصحيحين عن أبي هريرة- رضي الله عنه- أن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- قال: "مَنْ قَالَ: لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، في يوم مائة مرة، كانت له عدل عشر رقاب، وكتبت له مائة حسنة، ومحيت عنه مائة سيئة، وكانت حرًّا له من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا رجل عمل أكثر من ذلك" (البخاري ومسلم)، "ومن قال: سبحان الله ويحمده في يوم مائة مرة حطت خطاياها وإن كانت مثل زبد البحر" (البخاري).

فضل وفوائد ذكر الله

وفوائد ذكر الله تعالى عديدة، منها ما يلي:

سكينة النفس: يقول الله تعالى:- (الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ) [الرعد: 28]. فلا يحس من يذكر ربه إلا الأمن إذا خاف الناس، والسكون إذا اضطرب الناس، واليقين إذا شك الناس، والثبات إذا قلق الناس، والأمل إذا ينس الناس، والرضا إذا سخط الناس.

الله يذكر من يذكره: عن أبي هريرة- رضي الله عنه- عن النبي- صلى الله عليه وسلم- فيما يرويه عنه رب العزة: "يقولُ اللَّهُ تَعَالَى: أنا عِنْدَ طَرَفِ عَرْشِي، وأنا معهُ إذا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِيهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَا ذَكَرْتُهُ فِي مَلَا خَيْرٍ مِنْهُمْ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشَيْءٍ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي مِمَّنْ شِئِي أَتَيْتُهُ هَؤُلَاءِ" (البخاري).

الله يُظهر فضل الذاكرين ويُبَيِّن مكانتهم: روى أبو سعيد الخدري- رضي الله عنه- أن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- خرج على حلقة من أصحابه، فقال: “ما أجلسكم؟” قالوا: جلسنا نذكر الله، ونحمده على ما هدانا للإسلام، ومنَّ به علينا، قال: “الله ما أجلسكم إلا ذاك؟” قالوا: والله ما أجلسنا إلا ذاك، قال: “أما إنني لم أستحلفكم تهمة لكم، ولكنه أتاني جبريل عليه السلام، فأخبرني أن الله عز وجل يباهي بكم الملائكة” (مسلم).

أربعة فضائل: وأصحاب مجالس الذكر اختصهم الله- سبحانه وتعالى- بفضائل أربعة: تنزل الطمأنينة، وغشيان الرحمة، وإحاطة الملائكة بهم، وذكرهم في الملائكة الأعلى، وهذه الفضائل المذكورة في حديث أبي هريرة وأبي سعيد الخدري- رضي الله عنهما- أن النبي- صلى الله عليه وسلم-، قال: “لا يقعد قوم يذكرون الله عز وجل إلا حفتهم الملائكة، وغشيتهم الرحمة، ونزلت عليهم السكينة، وذكرهم الله فيمن عنده” (مسلم).

المغفرة والأجر العظيم: فطوبى لمن أشغله ذكُّرُ الله- عزَّ وجل- عن كلِّ ما سواه، أولئك الذين قال الله فيهم: (وَالَّذَاكِرِينَ لِلَّهِ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا) [الأحزاب:35].

حياة القلب: ففي صحيح البخاري من حديث أبي موسى- رضي الله عنه- قال: قال النبيُّ- صلى الله عليه وسلم-: “مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لَا يَذْكُرُ رَبَّهُ مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ”، وفي لفظ مسلم قال النبيُّ- صلى الله عليه وسلم-: “مَثَلُ النَّبِيِّ الَّذِي يَذْكُرُ اللَّهَ فِيهِ، وَالنَّبِيِّ الَّذِي لَا يَذْكُرُ اللَّهَ فِيهِ، مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ” (البخاري ومسلم).

الفوز بصلاة الله والملائكة: قال الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا \* وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا \* هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا) [الأحزاب: 41 – 43].

عون من الله: روى ابن ماجه وصححه الألباني عن أبي هريرة- رضي الله عنه- عن النبي- صلى الله عليه وسلم- قال: إن الله- عز وجل- يقول: “أنا مع عبدي إذا هو ذكرني وتحركت بي شفطاه”.

اقتداء بالنبي: روى مسلم عن عائشة قالت: “كان النبي- صلى الله عليه وسلم- يذكر الله على كل أحيانه”.

النجاة يوم القيامة: فيوم القيامة يصطفى الله تعالى الذاكرين بطله، ويكلوهم بحفظه، عن أبي هريرة- رضي الله عنه-، أن رسول الله- صلى الله عليه وسلم-، قال: “سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله”، وذكر منهم: “ورجل ذكر الله خائبًا ففاضت عيناه” (متفق عليه).

أجر عتق الرقاب: فعن أبي أيوب- رضي الله عنه- قال النبيُّ- صلى الله عليه وسلم-: “مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، عَشْرَ مَرَّاتٍ، كَانَ كَمَنْ أَعْتَقَ أُرْتَعَةَ أَنْفُسٍ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ” (البخاري ومسلم).

اعتباره عند الله تعالى من الذاكرين: فقد صحَّ عن رسول الله محمد – صلى الله عليه وسلم- أنه قال: “مَنْ اسْتَقْبَطَ مِنَ اللَّيْلِ وَأَبْقَطَ امْرَأَتَهُ فَصَلَّى رَكَعَتَيْنِ جَمِيعًا كُنِيَ مِنَ الذَّاكِرِينَ لِلَّهِ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ” (صحيح أبي داود).

نقاء القلب: قال أبو الدرداء- رضي الله عنه-: “لكل شيء جلاء، وإن جلاء القلوب ذكر الله عز وجل”.

خير من إنفاق الذهب والفضة: روى الترمذي وصححه الألباني عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم-: ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم، وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من إعطاء الذهب والورق، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم، فتضربوا أعناقهم وبضربوا أعناقكم؟ قالوا: وذلك ما هو يا رسول الله؟ قال: ذكر الله عز وجل”.

إن أفضل ما يتشغل العبد به وقته، هو ذكر الله تعالى، تلك العبادة الميسورة التي رتبَّ الله عليها الأجر الكبير والثواب العظيم، وهو ما ينفع المسلم في الدنيا والآخرة.